من أدب الغـــربة

الأستاذ فليكس فارس

الشاعر الإيطالي ليونلو فيوى ، من أشهر حملة الأقلام في هذا العصر . وقد أوقفه كبار النقاد في أوربا والعالم الجديد إلى جنب جبرائيل دانونزيو في تاريخ آداب القرن العشرين

إن ليونلو فيوى يكتب وينظم باللغتين الإيطالية والفرنسية ، وله مؤلفات وترجمات عديدة في التاريخ والعلم والأدب ؛ وهو يصدر في باريس منذ تسع سنوات مجلته «دانتي» باللغة الفرنسية ، وهي منتشرة بين الطبقات المثقفة ويكتب فيها عدد من أشهر رجال العلم والأدب

وقد أصدر ليونلو أخيراً ديواناً من الشعر المنثور باللغة الفرنسية بعنوان « صدر عن الأرخبيل » كان له دوى في عالم التجديد الأدبي ، وترجمت منه قصائد إلى لغات عديدة . وقد رأى أصدقاء الشاعر أن قصيدة « نذر » من الديوان قد اختارها عدد وفير من المترجمين فاستكملوا ترجمتها إلى ست وعشرين لغة منها الصينية واليابانية والأرمنية والتركية. وقد طلب إلينا أن ننقل هذه القصيدة إلى اللغة العربية ، فنزلنا عند إرادة اللجنة التي تولت نشر هذا الديوان لقصيدة واحدة وقد أرسلته إلينا فرأينا أن نقدم لقراء الرسالة ترجمتنا آملين ألاَّ تكون قصرنا في هذا المضمار الذي تسابقت فيه لغات الدنيا في معرض البيان . ولعلنا أثبتنا أن أم اللغات هي المجلية بما فيها من مرونة وجزالة وبلاغة تقتنص المعاني فتورثها بروعة تفوق روعة أصلها

نذر

ما تحلَّيتِ في ولن تتجلي إلا كلمح السراب ؛ لذلك أتوق إلى أن أقيمك تمثال عذراء ، أيتها الزنجية ، أسوة بالأقدمين من أبناء إيطاليا الذين كانوا يُبدعون من نساء أحلامهم رسوماً يناجيها المتعبِّدون

إنَّ أُمنيتي هي أن أطبع على رافدة هيكلٍ في « الرافينيك » صورة عينيك المتوهجتين بلمعان الماسة الزرقاء لأقف أمامهما متوسلاً بغير لغة الكلام ، وقد أشجاني الاضطراب ، أن تقرَّ عيناي لحظة عليهما . فأجيل ناظريَّ على غدائر شعرك الجعد الفاحم المنعطف كالجدول إلى ما وراء أذنيك وأرسم منشيَ أنفك الخافقين كأنهما جناحا طائر صغير ، وكأنهما ينفتحان برعشة الشهوة لاستنشاق عطور جزيرتك المسكرة هابة من منابت الكاكاو والروم والفانيلا

لأبذلنَّ كل ما في الوله من عناية في اختيار العنبر لأمدَّه أظلالاً فأداعب إهابك حين أرسمه غضًّا ناعماً كأن عليه زغبَ الثمرةِ الندية فتبدين فتَّانة القوام باسطةً ذراعيك بمعصميها الضامرين

وعند ما أستنفد ما على لوحة الألوان فلا أجد ما أرسم به لين طفولتك ، وهي كأنها تأود القصب الندىَّ في جزيرتك ؛ ويمتنع عليَّ رسم ما في صفاء فطرتك وعطفك وذكائك من غوامض الفتنة ، لن يسعنيَ وقد خانني الفن إلا أن أعتصر على الرافدة آخر ما احتبس في قلبي اليائس من قطرات شوقه وإلهامه

وإذا ما أتممت هذه الصورة المنذورة أسارع إلى رفعها على هيكل من هذه الهياكل الصغيرة المشرفة على غابات القصب المزهرة وعلى مراوح الموز الوسيمة ؛ عندئذ أجد مكافأتي في تعبُّدي لعذراي الزنجية ، فأسجد أمامها صامتاً خاشعاً والغسق يمد أظلاله على الأشجار الباسقة التي لا اسم لها كأن الغسق ليلٌ ثان ينتشر على ظلمات الغاب في بلاد الهجير حين تهتاج الصراصرُ مرسلةً أزيزها في الليل فتجاوبها الحُباحبُ بأشعةٍ لا عِدادَ لها كأنها قطراتُ ندًى تلتمع في ليلة مقمرة

* * *

فكما أن الحكم البرلماني ليس المثل الأعلى على الإطلاق كذلك الحكم الفردي ليس عنوان الظلم دائماً وإهدار الحريات

وقد كان جمال الدين « حكيما » إذ ربط أسلوب الحكم بأحوال الأمة الخاصة بها وعلق تطوره أو تغييره بتغير تلك الأحوال

فالتعصب للحكم البرلماني بدون قيد ولا شرط ، ورمي حكم الفرد بالجور بدون قيد ولا شرط ، غلو في الخيال وإيمان غير محدود بالنظر المجرد عن حقيقة الواقع ما دامت العدالة ليست رهينة أحد النظامين على الإطلاق

محمد توفيق البهي
دكتور في الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا